

الإنسان والوجود الإلهي...



لذلك، كما يتم إشباع هذا الوعي الفطري بوجود الله بالعقيدة الصحيحة وبالعبادة الحقة، فيمكن إشباع هذا الوعي بعقيدة وعبادة وثنية أو بدائية، تم استبعاد العقل تماماً عن النظر فيها.

ويُعَرَّفُنا الإسلام أن الله قد زرع هذه الفطرة في النفس البشرية، دون وساطة من مَلَكَ مقرب أو نبي مُرْسَل، كما يخبرنا القرآن الكريم:

(وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِمَّن طَهُرَهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلامًا أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ) الأعراف / 172

ونظراً لوجود هذا الشعور الفطري، كان المنهج المتبع في الحوارات بين الفلاسفة المتدينين والملحدين (حتى نهاية النصف الأول من القرن العشرين) هو مطالبة المتدينين للملاحظة بإثبات عدم وجود الإله، تماماً مثل مطالبة من ينكر وجود الشمس بتقديم الدليل على ادعائه.

وينبغي أن نؤكد أن كَوْنُ علاقة الإنسان بالعلاقة عاطفية فطرية، لا يعني عدم الحاجة إلى إقامة الدليل العقلي على وجود الله (عز وجل).

لقد جعل الله (عز وجل) علاقة الإنسان بالدين علاقة عقلية، يمكن أن يبرهن عليها العقل البشري، ويخضعها للتحليل والاستدلال والاستنباط، لذلك اعتبر القرآن الكريم أن الدين ((برهان)):

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا) النساء / 174

وقد اظهرت الدراسات تشابهاً كبيراً في النسق الديني بين الشعوب البدائية وبين الشعوب الأكثر تحضراً؛ مما يتحدى النظرية التي تقول بان الدين هو انعكاس للحياة الاجتماعية والثقافية والمادية، كالآدب والشعر والفن والفلسفة.

إن قولنا إن علاقة الإنسان بالدين علاقة عقلية، لا ينفي وجود الرغبة الفطرية لدى الإنسان في اعتناق دين ما، أما دور العقل فهو إدراك صحة المضامين الدينية.

لذلك ينبغي القيام بالفصل الدقيق والصارم بين الشعور الفطري العاطفي (متمثل في الوعي بوجود الله والرغبة في التواصل معه) وبين الفكر العقلاني (الذي يتمثل في إدراك صحة المضامين الدينية)، حتى لا يفقد الإنسان طريقه الصحيح في التوجه إلى الله، وهو غاية الغايات من خلق الإنسان في جميع الديانات.

المصدر: كتاب ثم صار المخ عقلًا